كتاب الواضح فى علم العربية

لابى بكر محمد بن الحسن الزبيدى المتوفى سنة 379 هـ

تحقيق الدكتور أمين على السيد
كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

« واقل ما يجزىء من النحو كتاب الواضح للزبيدى »
ابن حزم

« كان فى النية نشر هذا الكتاب التراثى المهم فى هذا العدد من **اللسان العربى** ، غير أن ضيق النطاق ووفرة المواد اللغوية ذات الطابع المعاصر تدخلا دون ذلك . وهو على كل حال أجدر بأن يطبع كتابا على حدة من أن ينشر مجزءا فى مجلة . ومن أن تتفضل بعض الدول العربية العاملة على بعث التراث العربى المجيد ، بطبعه على نفقتها لتعم الاستفادة منه ، ونكتفى الآن بنشر هذا **(التعريف)** بالكتاب تنويها باهميته » .

تعريف بالكتاب

كتاب الواضح فى علم العربية لابى بكر الزبيدى المتوفى عام تسعة وسبعين وثلاثمائة هجرية من التراث العربى الذى لم يسبق نشره حتى الان ، والذى تتسوق نفس كل عربى الى الاطلاع عليه ، والتعرف على ما احتواه من اصول ، وترجو التغلب على كل ما يقف فى طريق نشره من عقبات قد تعوق ظهوره او تؤجل انجازه .

وذلك لانه المؤلف الاندلسى الاول فى النحو العربى ، الذى وصل الينا عبر اكثر من الف عام ، والذى قال عنه فقيد الاندلس وفيلسوفها العلامة ابن حزم الظاهرى : « واقل ما يجزىء من النحو كتاب الواضح للزبيدى » .

ثم لان صاحبه قد جمع فيه اطراف النحو وسائر ابوابه ، دون اغراق فى الخلاف ، او تتبع للتعليل ، والم فيه بالتصريف وما يتصل به من مختلف المباحث ، واوجز فى براعة خلاصة الدراسات اللغوية التى احتوت على بيان شاف لمخارج الحروف . وايضاح كاف لصفاتها وادغام بعضها فى بعض ، وما قد يعرض فيها من امالة مع بيان احكام الوقف واحواله ، ولم يشأ المؤلف أن يخلو كتابه هذا من الحديث عن القوافى فى الانشاد والحداء وعن الرسم والهجاء فى بنات الواو واليـاء .

وبالاختصار لقد اوجز فيه صاحبه كافة الاصول التى يحتاج اليها الناشئة من طلاب العربية لتقويم الالسنة ، فى عبارة علمية رصينة سهلة المأخذ .

وهو نمط فريد فى بابه لا يستغنى عن الاطلاع عليه المتخصص فى دراسة اللغة العربية اذ يجد فيه ضربا من ضروب التأليف فى اصول اللغة العربية يقتدى به ، الى جانب انه يمثل مرحلة تاريخية من مراحل التأليف فى علم النحو ينبغى التعريف بها والافادة منها لدى المتخصصين فى الدراسات العربية على وجه العموم . تلكم هى مرحلة تأليف المختصرات النحوية .

وان نشر هذا السفر سيحدث تأثيرا بالغا فى الاوساط التى تهتم بالدراسات العربية فى اسبانيا ، ذلك أن فيه تغييرا لحقيقة تكاد تكون مستقرة فى الاذهان ، وفى هذا التغيير ما فيه من

الخطورة بالنسبة للتعرف على المخطوطات ، وتوثيق صلاتها بأصحابها .

فمن القرائن المرجحة عند المحققين ان موطن المؤلف اذا ارتبط بالمكان الذى توجد مخطوطاته فيه كان دليلا يقوى الثقة فيها ويدعونا الى ان نعتمد عليها ونؤكد نسبتها الى صاحبها .

لكن الذى ثبت بالفعل غير متجاوب مع هذه القرينة ، لان نسخة كتاب الواضح لابى بكر الزبيدى ، الذى كتب عنها فى فهرس الاسكوريال بالجزء الثانى منه ص 117 ، 116 ما نصه : « الواضح فى النحو : ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدى . هذا كتاب منسوخ من كتاب الواضح فى النحو . باب اقسام الكلام . اقسام الكلام كله ثلاثة : اسم وفعل وحرف جاء لمعنى . فالاسم قولك : رجل وفرس وحمار وزيد وعمرو وما اشبه ذلك . وعدد صفحاته (224) فى كل صفحة (19) سطرا » .

هذه النسخة ليست الاصل الاول لهذا الكتاب ، وانما هى نسخة ثانوية ليست مطابقة للنسخة التى صورت من المكتبة المتوكلية بالجامع الكبير بصنعاء وقد حفظت هناك تحت رقم (171) وبدار الكتب المصرية صورة منها تحت رقم (220) ميكروفلم .

ويكاد يوقن كل من لم تستعبده الظروف بالاطلاع على هذا ، بأن الكتاب المذكور فى فهرس الاسكوريال هو النسخة الام ، التى يجب ان تكون عماد التحقيق ، لاحتمال ان تكون بخط المؤلف او بخط احد تلاميذه او انها قرئت عليه فى حياته او قرئت على احد تلاميذه من بعده . وهذا الاعتقاد مبنى على وجودها فى مدريد المدينة الكبرى فى اسبانيا ، الدولة التى عاش فيها صاحب هذا الكتاب منذ ولد الى ان توفى ، لم يخرج منها طلبا للعلم ، ولم يرحل عنها سعيا وراء الرزق ، ولم يغادرها لسبب من الاسباب الاخرى كالحج والزيارة والتجارة وغيرها . لقد ولد بها وتتلمذ فيها على ابيه وعلى غيره من اعلام العصر ، وجلس فى حلقة ابى على القالى حين وفد الى الاندلس كاحد تلاميذه ، وهو امام مرموق ، وفيها صنف ما ترك لنا من الاسفار النافعة التى قال عنها ياقوت فى ترجمته : « وبلغنى ان اهل الغرب كانوا يتنافسون فى كتبه » .

وبعد دراسة متدبرة آنية والتمعن فيها سيجد القارىء امامه البرهان القاطع على ان هذه المخطوطة التى تقيم بين تراثنا فى مكتبة الاسكوريال بمدريد ليس فيها من كتاب الواضح للزبيدى الذى تحدثت عنه المراجع ، وارفع العلماء ذكره — ليس فيها الا جزء قليل منه ، وان ساتر ما وضع تحت هذا العنوان واودع فى خزائن الاسكوريال هو اجزاء متناثرة من شروح الجمل للزجاجى ، ومن اليسير التعرف عليه بعرضه على الشروح الكثيرة التى تزخر بها المكتبات فى انحاء العالم ، وذلك عندما تتجه النية الى دراسة شروح الجمل فى المستقبل ان شاء الله .

ولقد بذلت ما بذلت فى سبيل الحصول على مصورة الاسكوريال هذه ، ظنا منى انها النسخة الام التى ستكون العمدة عند التحقيق ، ولكنى بعد معاودة قراءتها خرجت بحكم قاطع لم يدع للشك مجالا ، هو انها ليست كما ظننت ، بل هى اصل ثانوى لفق من اكثر من كتاب ، وفيما سياتى مفصلا بالمقدمة برهان على ذلك .

وقد كان لكتاب الزبيدى هذا اثره فى مجال الدراسات العربية منذ الفه صاحبه لان مقالة ابن حزم السابقة عنه دليل على انه اطلع عليه وعرف قدره ، ووجد فيه كفاية الطالب فنصح لمعاصريه ومن ياتى بعدهم باتخاذه اساسا تقوم عليه دراسات اخرى اكثر منه توسعا واستيعابا .

وكذلك فيما نقلته لنا كتب الطبقات من ان ابن الاسلمى قد شرح كتاب الواضح للزبيدى — دليل على انه كان محط انظار العلماء من بعد صاحبه .

وكثير من العلماء يسلمون بان الاتجاهات النحوية فى الاندلس تمثل احدى مدارس النحو المشهورة ، ولما كنت — فيما اعلم — اول من افرد بحثا كبيرا عن « الاتجاهات النحوية فى الاندلس واثرها فى تطوير النحو » حصلت به على درجة الدكتوراه من كلية دار العلوم عام 1964 م وكنت على صلة وثيقة بهذا التراث العلمى العظيم الذى خلفه علماؤنا فى الاندلس فى مجال الدراسات النحوية — كان على ما على الملتزمين من تجلية هذه الجوانب وازاحة الاستار والحجب عن بعض ما وتعت عليه فى اثناء بحثى ، ولفاء بحق هؤلاء العلماء ، وادداء للامانة العلمية ، وتعميما للنفع بهذه الآثار القيمة . وقد وجهت بعض طلاب الدراسات العليا الى هذا التراث العظيم ،

فقام أحدهم بشرح المقدمة الجزولية ودراسة مذهب أبي موسى الجزولي في النحو ، وقد أجيز هذا البحث من قسم النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم للحصول على درجة الماجستير بالشرافي . وقد سبقه طالب آخر فكتب عن أبي علي الشلوبين ومذهبه في النحو بإشراف الأستاذ عبد السلام هارون وثالث حقق كتاب التوطئة لأبي علي الشلوبين بإشراف الأستاذ الدكتور تمام حسان ، وهناك بحث يوشك صاحبه أن ينتهي من اعداده عنوانه : خصائص المذهب النحوي الاندلسي في القرنين السادس والسابع الهجريين بالشرافي .

ولعل هذا الكتاب يفتح لنا نافذة نطل منها على عالم الدراسات النحوية في الاندلس فيكون نشره فاتحة خير توجه الباحثين والمحققين الى جمهرة التراث النحوي الاندلسي وتبعث فيهم الرغبة الصادقة من أجل تحقيق الكثير من تراث هؤلاء النحاة الذين لا يقلون عن أمثالهم من نحاة المشرق ، وقد عرفت بكثير من هذا التراث في بحثي المشار اليه آنفا .

وقد أثبت من هذا الكتاب أكمل النصوص وأوفاها ، دون زيادة فيها أو حذف منها ، ولم أغير في النص الا ما اقتضته الضرورة الملحة ، أو ارتضاه المعنى الصحيح وكان متعينا عند النظرة الاولى ، وقد نبهت على ذلك في موضعه .

واعتبرت نسخة اليمن أعلى النسختين لانها هي المخطوطة التي وصلت الينا حاملة عنوان الكتاب ، واسم المؤلف واسم الناسخ واسم المكتبة التي تقتنيه وجميع مادة الكتاب على الصورة التي تتفق واسلوب المؤلف وطريقته التي عرفت عنه في كتبه الاخرى ، وبما نعت به الكتاب من انه أقل ما يجزىء من النحو .

واعتمدتها كذلك لان عليها خطوط علماء وتصحيحات بالهوامش أشرت الى ما ظهر منها في مواضعها ، هذا كله بالاضافة الى ما تتصف به من صحة المتن ودقة الكاتب وقلة الاسقاط مما يبعث في النفس الثقة بها والاطمئنان اليها .

وقد تركت بعض ما دون على الورقتين الاولى والاخيرة من مصورة اليمن ليراه المتأمل فيهما رأي العين . وجعلت مصورة مكتبة أصلا ثانيا لانها نسخة ملفقة ، قد هبط بقيمتها ما فيها من اعتلال المتن ، وجهل الكاتب ، وكثرة الاسقاط ، وشيوع الخلط بين الموضوعات ، هذا كله بالاضافة الى ما فيها من التصحيف والتحريف والاخطاء المتنوعة التي ينكرها كل من أتيحت له فرصة الاطلاع عليها ، والى جانب ما تقدم خلت صفحتها الاولى تماما من عنوان الكتاب واسم المؤلف واسم الناسخ واسم المكتبة التي يودع بها ، كما خلت صفحته الاخيرة من كل ذلك ، وخلا الكتاب كله من خطوط العلماء وتصحيحاتهم على كثرة ما فيه من الاخطاء التي جاء بيان بعضها في مقدمة التحقيق .

ومن أجل هذا فضلت العنوان المدون على بطاقة مصورة اليمن وهو : كتاب الواضح في علم العربية .

مما تقدم يتضح أن تحقيق هذا الكتاب لم يكن أمرا ميسرا ، لما تغير عندي بعد الاطلاع على مصورة مدريد وبعد معرفتي قيمتها من الناحية الموضوعية الصرفة ، فقد سار العمل في التحقيق بعد ذلك على هدى مصورة اليمن ، مستأنسا بالاجزاء القليلة التي وجدت من هذا الكتاب في مصورة مدريد .

وقد تقدمت بهذا التحقيق لكي ينشر عن طريق مكتب تنسيق التعريب بالمغرب في 1972/9/28 وتلقيت رد مديره مؤخرا في 15 نوفمبر سنة 1972 بوصول هذا الكتاب اليهم ولكن... الذي أود أن اثبته هنا يتلخص في أن تاريخ صلتي بهذا الكتاب يرجع الى عام 1960 عندما تمت بنسخه من دار الكتب بالقاهرة من الميكروفيلم رقم (220) ضمن المادة العلمية التي كنت أجمعها لرسالة الدكتوراه وقد عرفت حينذاك أن هذه الصورة قد نقصت منها اللوحة رقم (138) وهي تشمل صفحتين من صفحات الأصل في « باب التصغير » وقد حصلت على هذه اللوحة في نفس العام الذي حصلت فيه على مصورة مدريد في العام الجامعي (68 — 1969) . وكان هذا بعد محاولات بدأتها في عام (1962) وكانت تحدوني فيها الرغبة الصادقة ، وكنت ألح على طرق أبواب كثيرة ، متذرعا بالصبر وطول الاناة لتحقيق هذه الرغبة ، منذ أن حسن وقع الكتاب في نفسي بعد نسخه .

وكانت حصيلة العمل موجزة فيما يأتي : تمت القراءة الاولى في 1967/5/14 ثم نظرت فيه لاخراج المسائل الخلافية في 67/6/17 ، وتمت

القراءة الثالثة فى 1967/11/13 ، وتمت القراءة الرابعة فى 1969/1/1 ، وحضرت مصورة مدريد فى 1969/5/5 ، وبعد أن تم تكبيرها قرئت ثلاث مرات ، ثم رتبت وردت الى أصلها تقريبا فى 1969/5/27 ، ونى 19 شعبان 1389 هـ — 1969/10/30 م. أرسلت لى من اليمن اللوحة الناقصة المرفقة صورتها بهذا ؛ ثم : تمت القراءة الخامسة فى 1970/8/10 ، وتمت القراءة السادسة فى 1971/5/3 ، وتمت القراءة السابعة فى 1971/8/31 ، وجاء التحقيق بعد اختصار كثير مما أمددته له كما أشار بذلك العالمان الجليلان : الاستاذ على الجندى والاستاذ عبد السلام هارون — على ما سيأتى توضيحه فى المقدمة .

هذا وقد خلت للنسخة المقدمة لمكتب تنسيق التعريب بالمغرب الاقصى من هذا التعريف .

وقد اجازت كلية الآداب بجامعة عين شمس هذا الكتاب محققا باشراف الاستاذ الدكتور طه عبد الحميد طه ، وحصلت به الطالبة السورية منى الياس على درجة الدكتوراه فى صيف عام 1973 . وقد اخبرنى الاستاذ المشرف بانها لم تعتمد الا على مصورة صنعاء ، ثم سألته عن اللوحة رقم (138) التى سقطت من الميكروفيلم المودع بدار الكتب بالقاهرة ، فاجاب بانها ساقطة من النسخة المحققة ايضا ، وان الطالبة قد نبهت الى ذلك ، دون محاولة منها لاكمال هذا النقص .

وانى لراج أن يكون لهذا العمل العلمى من القدر مثل ما بذل فيه من الجهد والله ولى التوفيق .

تحريرا فى :

غرة جمادى الاولى 1394 هـ

23 من مايو 1974 م.